

في الأدب الإنجليزي الحديث

بيرون وشلي وكيتس^(١)

للأستاذ بشير الشريقي

بيرون Byron وشلي Sheley وكيتس Keats هؤلاء الأثام الثلاثة من أعظم شعراء الانجليزية وأشهرهم . عاشوا في القرن التاسع عشر الميلادي وامتازوا بشعرهم الوجداني وطريقتهم الخيالية لا بتداعية ، لم يتكلموا إلا عن مشاهدة وتصور واعتقاد ، ولم يتقيدوا بتقيد المدرسين بالصناعة اللفظية ولا بالحقائق العدية . لقد خصت الآلهة الشعراء الثلاثة بأقل نصيب من العمر ، فقد كان سن بيرون يوم تشكلت عرائس الشعر ستة وثلاثين عاماً فقط ، وشلي ثلاثين ، وكيتس ستة وعشرين ؛ ولكنهم وإن لم يُنسأ في آجالهم استطاعوا أن يملأوا أرجاء هذا العمر بأوفر نصيب من الشعر القوي والاعتراف الشجي والتسبب الفتي ، لقد هتكت عن أنظارهم مسدلات الحجب ، فجرى عنهم غير ما في الكتب

اللورد بيرون

١٧٨٨ - ١٨٢٤

إذا كان رأى أدباء اليوم ، أدباء القرن العشرين ، في اللورد بيرون كراى معاصره فيه ، وجب أن يمد هذا النيل الجميل أنبغ شعراء الانجليزية من غير نزاع ؛ لقد ظفر بشهرة لم يظفر بها أحد سواه ، وعلى يديه انتظم الشعر الانجليزي لأول مرة ساحة الشعر الأوربي في عام ١٨٢٠ نظم لامرئين قصيدة غراء كلها إعجاب بيرون ؛ وكذلك تنبأ ماثيو أرنولد أن الأمة البريطانية يوم تحتفل في ختام عام ١٩٠٠ بذكرى شعرائها الأعلام ، شعراء القرن التاسع عشر ، سوف تضع اسم بيرون في طليعة عياقرة الشعر لم يكن بيرون فناناً عظيماً ولا ثاقب النظر ، ولم يجد فيه العالم إلا أمودجا في صناعة الشعر ، ولكنه كان في ذاته صورة مغرية في الربع الأول من القرن التاسع عشر ؛ أتجذت شخصيته بشعره لدرجة صمب معها التفريق بينهما ، وحتى قالوا : حياة بيرون هي أحسن شعر بيرون ؛ وقد تجدر من عائلة كُودوث بين أفرادها على ما يظهر ضعف الأعصاب ؛ كان والده رجلاً شريراً

(١) مترجم عن كتاب : The Story of English Literature Anna Buckland
Modern English Literature Wyatt Clay
وكتاب :

فظاً ، وكانت أمه متقلبة شديدة ، وتوفى عمه وهو في سن العاشرة ، فانتقل اليه لقب اللوردية ، وهكذا لم يكن في ثقافة بيرون ما يعله ضبط النفس أو إنكار الذات في سبيل الصالح العام ، فثار حين ألقى الى تيار الزمن على مضايقات المجتمع ومضايقات القانون التي صدمته في رغباته الخاصة

لقد وُجد - لانتقول نقف - في مدرسة « هارو » ومن ثم في « كبريدج » ، ثم قام بسياحة استغرقت عامين ، واليونان هي التي صيرته شاعراً ؛ وحين عاد الى وطنه ، وكان قد نشر وقائع رحلته في الفصلين الأولين من كتابه « تشايلد هارولد » Child Harold ، وجد نفسه شاعراً محبوباً مشهوراً

وأصبح بيرون الشاعر الجميل محور الحياة الماجنة في لندن ، منغمساً في المأبأة واضعاً نفسه بين يدي هواه من النساء ، ثم يتزوج في سنة ١٨١٥ بالآنسة ميلبانك Milbanke ، ولكن تهجره زوجه بعد أن تضع له طفلة وقبل أن يمضي على زواجهما عام واحد ، والى الآن لم يقف أحد على السبب الحقيقي لهذا الهجران ، غير أن الناس انتصروا يومذاك لللادي بيرون ، وفي سنة ١٨١٦ ترك زوجته إنجلترا الى غير رجعة ، فاش في سوتيز رلاندا (سويسرا) وإيطاليا ١٨١٦ - ١٨٢٤ ينظم أحسن شعره ويتسلى بصدقة شلي ، وينعم منذ ١٨١٩ بأكثر من صداقة الكونتيس كويسبولي Guiccioli

وهنا لا يفرج عن البال أن هذا الشاعر بينما كان يطلب لنفسه لذتها ولهوها ويرى في الأناية دستور الحياة ، نجده قد تأثر الى أقصى حد بالروح الوطني العام الذي انبعث في أيامه في بلاد اليونان ، إنها الرغبة في مساعدة الغير على نيل الحرية هي التي رمت به سنة ١٨٢٣ في القضية اليونانية وجملته يطلب لليونانيين بالاستقلال عن الأتراك

ذهب اللورد بيرون الى اليونان وساعد على إيقاف شعور القوم الوطني وفي توحيد كلمتهم حتى جعلهم كرجل واحد في معركة الحرية والاستقلال ، وفي « ميسولونيا » أصابته الحمى فهدت جسمه الذي أضنته حياة الفوضى التي غمرق فيها هذا اللورد الشاب إن في موته وحيداً في بلاد الغربة ما يجز في القلب ، لقد كان أشبه ما يكون يقبس لطيف من نور الشمس الذهبي التي وسط العالم في يوم مظلم عاصف

لشعر بيرون تأثير في القلب ، وعلوق بالنفس ، لأنه استطاع

له طفلين ثم هجرها عام ١٨١٤ من أجل ماري كودوين ابنة وليام كودوين الكاتب الروائي والسياسي؛ وبعد عامين، حين أغرقت هاريت نفسها في التيار، أصبحت ماري كودوين السيدة شلي ولكن محكمة تشانسري حرمت الشاعر حضنة ولديه وفي عام ١٨١٨ ترك شلي إنجلترا إلى إيطاليا حيث قضى بقية عمره وكان دائم الاتصال باللورد بيرون

أحسن شعر شلي ظهر في السنوات الأربع الأخيرة من عمره، وبمباراة أخرى أن شعره لم ينضج حتى سنة ١٨١٨، ومن أقوى وأمتن قصائده الطويلة، الروايتان الثنائيتان « ميتوس الغير محدود » و « هيلاس ». وتمثل هيلاس بقطة لليونان وتأييد العالم لهم في ثورتهم على الأتراك

ولكن إذا كانت إجابة شلي تامة في هذه القصائد الطوال فان ابداعه كان عظيماً كذلك في مقطعاته الثنائية التي نذكر منها قصيدة « القبرة » و « الضباب » و « أدونيس » و « غناء كونستانيا » و « الريح الغربية » و « إلى الحرية » و « إلى المساء »

كان شلي من بين الشعراء أجمعين شاعر المثل الأعلى، استطاع أن يتصور في أخلاق الانسان وحياته كلاً هو أسمى بكثير مما عرف حتى الآن لقد ثار على كل ما يحط من قدر الانسان ويحول دون تطوره السامى مدفوعاً بحبه العظيم للانسان وإيمانه بزمن آت هو خير من زمانه

وقد أدرك بواسع علمه وثاقب رأيه أن فكرة الانسان عن الله تتناقض كثيراً وفكرة الحق والعدل والحقيقة، وهكذا يشوه التلوين الانساني الصورة الانسانية كما يشوه زجاج نافذة مصبوغ جماً تراه من خلاله، أو كما يوضح شلي ذلك في قوله:

الحياة أشبه ما تكون بقبة من زجاج كثير الألوان
تلطخ أضواء الأبدية البيضاء
إلى أن يحطمها الموت

فان كنت تود أن تلتقي بهذا الذي تفتش عنه فمت إذن !
تطلع شلي تطلع مشتاق إلى يوم قريب يتحقق فيه المثل الأعلى،
وعلق آمالاً كباراً على الثورة الفرنسية، ولكنه حين شاهد ما منيت به النظريات السياسية من فشل أحسن بيأس مؤلم
لو طال عمر شلي لاعتنق مبادئ « وردزوس » الإصلاحية

أن يصور به حياته وهي كما رأيت شائقة غاوية، حياة شاب جميل مومر انغمس في اللذات وانكب على الملاهي حتى مل وسئم، حياة لهو وغخاطرة، يتخللها شك مقلق وتبرم من الأقدار التي قضت على كل طيب وجميل بالأحلال البطيء والموت السريع وفي الحق كان كل ما أخرجه الشاعر للناس قوياً عجيباً فاتناً من باكورة شعر « ساعات البطالة Hours of Idleness » إلى « عروس أيدوس Bride of Abydos »، من الفصلين الأولين من « تشايلد هارولد » إلى الفصلين الأخيرين منه، من القصص الشرقية، إلى الأغانى العبرية، من « سجين تشيلون Prisoner of Chillon » (بونيفار الذي صد هجوم دوق سافوي عن جنوه) إلى القصيدة الروائية « مانفرد Manfred » التي نظمها في إيطاليا على نسق رواية « فوست » وذكر فيها السحر والأرواح وخوارق الطبيعة، من « يوم الحساب » وهي من أقوى الهجاء الحديث إلى « الدون جوان » من رثاء تاسو Tasso (الذي اعتقل بهمة الجنون لأنه أحب ليونورا ابنة الدوق) إلى « مارينو فالبرو Marino Faliero » المأساة التاريخية - كان يرافق عبقرية بيرون سهولة تامة وقدرة عجيبة في التعبير عما يجيش به صدره وهنا علينا أن نذكر أن في اللورد بيرون الفنان، عللاً كثيرة، فهو لا يكاد يحسن صناعة الشعر ولا ربط الفكر ولا اختيار الضمائر، وذو أسلوب بسيط مضطرب، ولكن على الرغم من كل ذلك فان وليام فورس يقول عنه إنه أعظم ذخيرة أدبية في هذا القرن التاسع عشر

إنه شاعر الحرب، لهذا سوف لا تقدر على وفاء حقه في هذه الأيام التي يسود فيها السلام

برسى شلي

١٧٩٢ - ١٨٢٢

ولد شلي عبقرية مفرداً فلم يكن له مثيل في بارونية من البارونيات الإنجليزية الفنية، لقد قاوم وهو يافع، ما كان يسود في طبقته من آراء وعقائد وتقاليد، وفي مدرسة « إيتون » وفي جامعة « أكسفورد » كان في تصادم دائم مع « المحافظين » نشر عام ١٨١١ مقالاً بعنوان « حاجتنا إلى الجحود » طلب فيه من جميع مديري الكليات أن يزلوا إلى مناقشة آرائه وتفنيد هرطقته مما أدى إلى طرده من الجامعة. وفي ذلك العام تزوج بهاريت ويستبرون، وهي فتاة في سن السادسة عشرة؛ ولدت

في جمال الأسلوب نجسب . ولكن إن نحن انتقلنا الى مقطوعاته اليونانية الأخيرة التي وصفها بيرون بأنها « سامية سمو ايشيلوس » أدركنا الفارق العظيم بين شعره الأول وشعره الآخر الذي منه « ليا Lamia » وهي قصة شاب اقترن بأففى متخذة صورة امرأة جميلة ، و « ايزابيلا » التي تكشف لنا عن مقدرة كيتس التامة في تأليف القصص الشعرية ، و « الأناشيد الستة » الباقية على الزمن

وما الذي كان ليُعجز عبقرية كيتس لو قدر لها أن تعيش ؟ إن موته المبكر كان أعظم نكبة حلت بالشعر الإنجليزي ، لقد استطاع أن يتعلم من فنه ومرانه وجدته خلال البرهة التي مرت بين نظمه « لأنديميون » ونظمه « الأناشيد الستة » ما لم يتعلمه شاعر إنجليزي آخر في مثل هذه الفسحة من الزمن

لكي تفهم نفسية هذا الشاعر ننقل هنا بعضاً من أقواله :
« أنا رجل إحساس أكبر مني رجل تفكير »
« ليس فيّ حس يمكن أن يخضع للجهمور أو لأى شئ في الوجود ، إنما يأسرني الكائن الخالد ، والجمال الخارق ، وذكرى الرجال العظام »

« لم أستطع أن أعيش من غير حب أصدقائي ، وإني لأقفز إلى أسفل جهنم من أجل الصالح العام ، ولكنى أكره الشهرة التي تقزز النفس . »

« قد سبب لي تقدي لنفسي من الألم ما لم يسببه نقد المجلة « الفصلية » أو نقد مجلة « الغاية السوداء »
« حين أشعر بأنى على حق أحس بنشوة طرب لا أحس بها حين يثنى على الناس »

« أرى أنه لا يوجد مطلب يستأهل الطلب ، اللهم ففكرة عمل الصالحات »

« ليس أمامى سوى طريق واحدة »
« أحسن أنواع الشعر ، هو ما أهتم له وما أعيش له »
« سوف لا أخلف ورائى حين أموت عملاً خالداً ، سوف لا أخلف ما يثير إعجاب الأصحاب عند ذكراى ؛ ولكنى همت بالجمال كما يبتنى »

الجمال الحقيقية ، والحقيقة الجمال ، هذا كل ما يجب أن تعرفه في الدنيا وكل ما تحتاج إلى معرفته

(شرق الأردن)
بشير الشريقي

ولقال معه إن تقدم الجنس البشرى يتوقف على رقى الفرد وتطوره ، ولكنه عاش حياة قصيرة . ولد عام ١٧٩٢ وغرق عام ١٨٢٢ بانقلاب قازبه أثناء اجتيازه خليج اسبينا ، ولما أخرجت جثته من البحر أحرقت على الشاطئ بمحض من اللورد بيرون وبعض الأصدقاء ودفن رمادها في مقبرة البروتستنت في روما وقد كتب على قبره هذه الكلمة « قلب القلوب »

جون كيتس

١٧٩٥ - ١٨٢١

يرقد كيتس حيث يرقد رماد شلى في مقبرة البروتستانت في روما ، وقد نقش على قبره تنفيذاً لرغبته هذه الجملة « هنا يرقد من أشبهت ذكراه سفيراً ألقى في الماء »

ولد من أبوين غير شاعرين ، فكان والده يعمل في اسطبلات الخيل الممدة للأبحار في لندن ، ولكن سرعان ما أصبح هذا الشاعر « اللندنى » شاعر اليونان الحديث ، سرعان ما أصبح هذا الطبيب « تحت التمرين » رسول الجمال ، وموجد المدرسة النسوية خطأ الى تنسون Tenysonian School

اهتم كيتس بدراساته الطبية ، ولكنه لم يجد لها طمأناً ، فهجرها عام ١٨١٧ وهو العام الذي ظهرت فيه مجموعته الشعرية الأولى . وفي عام ١٨١٨ ظهرت له قصيدة « أنديميون Endymion » فانتقدتها المجلة « الفصلية » ومجلة « الغاية السوداء » انتقاداً لاذعاً سفيهاً ألم الشاعر كثيراً ، ولكن هذا الظلم الأدبي ليس هو الذى يجعل يموت كيتس كما ظن شلى ، وإنما داء السل هو الذى كان علة موته الباكر

ظهر أجود شعره عام ١٨٢٠ ، وفي ختام هذا العام رحل الى « نابلز Naples » يرافقه صديقه « سينقرن » الذى وقف على العناية به امرأة طيبة ، ظلت مغلصة في خدمته الى أن توفاه الله في روما في شهر شباط سنة ١٨٢١

لقد فضجت عبقرية كيتس بسرعة مدهشة كما فضجت عبقرية شلى ، وعلى الأخص ذوقه الفنى إذ سرعان ما صلح ، وسرعان ما كمل

قد تكون قصيدة « أنديميون غنية في الكلمات وفي الصور ، أما فيما عدا ذلك فلم تكن بذات خطر . إنها تظهر رغبة الشاعر